

## التأهيل الألسني لمعلم اللغة العربية السبل والفاعلية في بناء المناهج

\* أ/د. خليفة صحراوي

جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.

### الملخص:

إنّ استعمال اللغة في المواقف و الأحوال الخطابية التي تقتضيها الحياة اليومية هو ما ينبغي أن يكون المقياس الأول و الأساس في بناء منهج علمي تعليمي، وأسرار هذا الاستعمال هو ما يجب أن يلمّ به المعلم؛ و لن يتحقق ذلك إلا إذا كان معلّم اللّغة ذا حصيلة معرفية للنظريات اللسانية المعاصرة، تساعد على إدراك حقيقة الظاهرة اللغوية، مما ينعكس إيجابا على منهجية تعليمية اللّغة العربية، و قد أيقن الكثير من اللّسانيين العرب المحدثين أهمية وخطورة هذه المسألة، فقاموا بدراسات عديدة تتعلق بتعليمية اللّغة و بتعليمها، غير أنّها لم تحقق في غالبيتها الهدف المنشود لندرة موابقتها المستجدات العلمية، و لاسيما في ميدان تعليميتها، هذا الميدان الذي أضحي — بلا منازع — مركز استقطاب في الفكر اللساني المعاصر من حيث أنّها المجال الذي يتوخاه الباحثون لتطبيق الحصيلة المعرفية للنظرية اللّسانية و ذلك باستثمار النتائج المحققة في الأبحاث اللّسانية في ترقية مناهج تعليمية اللّغة، و عليه وجب تكثيف الجهود من أجل تطوير النظرية التربوية التي تسعى إلى ترقية الأدوات الإجرائية في حقل تعليمية اللّغة العربية. و لكون المعلمّ تسند له عمليات التطويع المعرفي التي يقوم بها عند إعداد المعرفة الواجب تعليمها وجب التساؤل عن مدى اطلاعه على ما توصل له التفكير اللساني في هذا المجال.

## نص المداخلة:

عدّ تعليم اللّغة العربية، و تكوين مؤطريها مجالا مهما يشكو من قلة المختصين من دون أن نعدم ظهور محاولات و دراسات جادة لا تخفى، و مع ذلك لا تزال في حاجة إلى المزيد من البذل و العطاء لإثراء هذا المجال و تطويره و بخاصة ما تعلق بمن تسند له العملية التعليمية أو من يمثل الركيزة الأساس لها، ألا و هو المعلم.

إن الدعوة إلى العناية بتعليمية اللّغة العربية على أسس علمية تحدد معايير بناء المناهج و اختيار مواردها التعليمية يؤدي حتما إلى نفي ما يشاع عن اللّغة العربية من لدى خصومها - سواء كانوا عن علم أم عن جهل - بأنّها لغة مختلفة و صعبة، و ما إلى ذلك، ناسين أو متناسين أنّها أدّت دورها الحضاري على مر الزمان و لا تزال تؤدّيه بتحد و صمود، و إنّما التخلف في مناهجنا، و في طرائقنا و في من يؤدّيها و يطبقها.

و يرجع العامل الرئيسي في هذه النقائص إلى عدم الاستغلال الأمثل للدراسات اللسانية الحديثة في الممارسة التربوية في أثناء بناء مناهج و تأديتها، و على الرّغم من الثّقلة النوعية التي حققها الدّرس اللساني، و لاسيما ما تعلق باللسانيات التطبيقية التي من حقّوها تعليمية اللّغة؛ و من ثم ينبغي البدء بتأهيل معلم اللغة العربية و جعله يواكب التطورات الحاصلة.

و بصورة مختصرة تكفل نجاعة التعلم بما فيه من دافعية، و نشاط مثمر بين العناصر المتشابكة في موقف التعلم، و اختيار المادة اللّغوية و توفير فرص النشاط اللغوي إلى المعلم، الذي لا مناص من تواجده و تأطيره للعلمية التعليمية التربوية.

## أبعاد التعليمية و تطور المفهوم:

لموضوع التعليمية من السعة والشمول ما يجعله نقطة تقاطع العديد من الأبحاث والدراسات. وتتجمع حول هذا المصطلح جملة من النقول تلونت بألوان التخصصات العلمية لبعض المؤلفين الذين تناولوه، ف Denis Girard استعمل هذه الكلمة لدلالات عدة، حيث أدمجها في معنى اللسانيات التطبيقية، وفي هذا السياق يقول: " إن من حق تعليم اللّغات أن يكون له وجوده المستقل، ليس بعدّه فتا، و إنّما بعدّه علما لا يتردد من الاقتباس من علوم إنسانية متعددة ما يمكنها أن تنفعه به". و يضيف: " لقد أحيا W.F. Mackey هذا المفهوم لكي

يعبر بواسطته عن هذا التصور العلمي لتعليم اللغات، فلماذا لا نستعمل نحن بدورنا تعليمية اللغات عوضاً عن اللسانيات التطبيقية".<sup>(1)</sup>

وعليه فقد استعمل مصطلح التعليمية صفة لكل ما له صلة بالتعليم، فتحدث عن الوسائل التعليمية، وعن المؤلفات التعليمية، فهي مجموع الوسائل التي يستند إليها المعلم لتسيير عملية التعليم. ولكن استندت التعليمية -مثلما أشرنا آنفاً- بكل العلوم الإنسانية والتربوية التي اهتمت بالمعرفة وكيفيات اكتسابها وتعليمها، فإنها قد تمكنت من استعمالها، وهي في غالبيتها تستند إلى ما توصل إليه التفكير اللساني في تعامله مع اللغة من جانبها النفعي.

ومن مجمل ما حُصر في اهتمامات مجال التعليمية ما يلي:

1. العناية بالتفكير في محتويات التعليم، وذلك بتحصيل خاصيتها المعرفية، ومنزلتها، ومنهجية بنائها.

2. العناية بالبحث في تمثيلات التعليم والتعلم وذلك بمحاولة ربط التحاليل المقامة بعمل المعلم، وهي ما يمثل النواة العرفانية لمختلف الدراسات التي اهتمت بموضوع التعليم.<sup>(2)</sup>

ولعل أهم ما يستخلص في تحديد أهم ما أفادته تعليمية اللغة من اللسانيات هو أن مدرّس اللغة يجب أن يكون ذا تكوين لساني، قبل إلمامه بالجوانب التربوية التقنية للعملية التعليمية.

### العلاقات التأثيرية بين مكونات العملية التعليمية:

يمكن عدّ خطة النهوض التربوي والمناهج الجديدة المنعطف الحاسم في اتجاه الاستفادة من مكتسبات التفكير اللساني، ويتجلى ذلك في نصّ المنهج، وفي إعداد المعلمين وتدريبهم على تطبيق المناهج الجديدة، وقد أصبحت التعليمية مركز الثقل في بناء مناهج إعداد المعلمين.<sup>(3)</sup>

وعليه فضّبت الاهتمام على اكتساب المعلم للكفايات ومن بينها: التملك المعرفي، المعارف الوسيّلية، والمعارف التصريحية التي تتضمنها المعرفة بموضوع التعليم، وهو ما يبرر بالدرجة الأولى الدور التعليمي الذي يقوم به المعلم في الوضعية التعليمية، والعلاقة بين المعلم والمعرفة في مختلف عمليات التطويع المعرفي الذي يقوم به المعلم عند إعداد المعرفة الواجب تعليمها، وقدرته على تحويل المادة المعرفية إلى مهارات... وهذه المبادئ تعتمد أساساً على نتائج البحوث اللسانية والتي تركّز على الإجابة عن التساؤلات التالية، وهي ولا شك متعلقة بتأهيل المعلم بالدرجة الأولى:

- ماذا نعلم؟

- كيف نعلم؟

### التأهيل الألسني لمعلم اللغة العربية:

تعاقبت المدارس والنظريات التي جددت النظرة إلى التعامل مع تعليمية اللغة، ومكنت هذا التعامل من تحقيق تقدّم ملموس في نقض النظرة التقليدية لما تتصف به من تلقائية وعدم تهذيب وفقاً لتغيّر حاجات المتعلم، وعليه أعادت اللسانيات إلى اللغة وظيفتها الأساس: التواصل. وتولد من هذا الاتجاه اعتبار اللغة نظاماً مستقلاً قائماً بذاته، يخضع لقوانين ومنه وجب على معلم اللغة أن يكشف ذلك النظام، ويحدد الوحدات التي تكوّنه.

وهذا الاتجاه عدّه الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بالقوانين العامة التي أثبتتها اللسانيات مما لا يجوز لمدرّس اللغة العربية جهله وفي ذلك يقول: " لا يمكن لمدرّس اللغة اليوم أن يجهل ما أثبتته العلم في عصرنا الحاضر من حقائق وقوانين ومن معلومات مفيدة ومناهج في التحليل اللغوي، وإلا كان مثل أستاذ الفيزياء الذي يجهل أو يتجاهل تماماً الاكتشافات التي جدّت في تركيب الذرة و نواتها".<sup>(4)</sup>

وقد أُجمع على حقائق صار الكثير منها اليوم من المسلّمات التي لا تجادل، فدخلت بذلك في حيّز البديهيات، واكتسبت أهميتها لا من أجل صحتها فحسب، بل لكثرة ما تفرّع عليها من مبادئ جزئية و أفاد منها الباحثون في شتى الميادين مما له علاقة بظواهر اللسان والتبليغ، سواء كان في المستوى النظري أم التطبيقي، وهذه الحقائق هي:

1. اللسان هو قبل كل شيء أداة تبليغ.

2. اللسان ظاهرة اجتماعية لافردية.

3. لكل لسان خصائص من حيث الصورة والمادة.

4. اللسان هو في حدّ ذاته نظام من الأدلّة المتواضع عليها.<sup>(5)</sup>

وتعاقبت النظريات التي هيمنت على أفق الدراسات اللغوية منذ القرن العشرين إلى مطلع

الألفية الثالثة والتي كان لها الأثر الملموس في ميدان تعليم اللغات وبخاصة:

-النظرية البنوية

-النظرية التوليدية التحويلية

-نظرية الاتجاه الاجتماعي

وحتى وإن اختلفت في الترتيبات والآليات المعتمدة في وضع مناهج لتعليم اللغة، إلا أنها اتفقت على مجموعة من الافتراضات المتعلقة بطبيعة اللغة، وعدت عند ممارسي هذه النظريات من الأسس التي يركز عليها في التعامل مع اللغة تدريساً وبجثاً وهي:

1. أن اللغة نظام صوتي يُعتمد للتفاهم والتعبير
  2. أن اللغة عادات لفظية يمارسها الإنسان وهي التي تمثل الجانب الاستعمالي الفعلي للغة
  3. لكل لغة تراكيبها المتميزة، وعليه لا يوجد تماثل بين اللغات
  4. تعتمد كل لغة على قوالب محدودة العدد، و يصاغ على منوالها عدد لا متناه من الجمل.<sup>(6)</sup>
- ويتضح مما سبق ذكره من حقائق وجب مراعاتها، أن المعلم ملزم بالتعامل مع اللغة التي يدرسها بوصفها أداة تبليغ، و وسيلة يتواصل بها الفرد في المجتمع، ضف إلى ذلك أنه تراعي خصوصيات كل لغة والفروق ما بين اللغات، هذه اللغة التي لا مناص من النظر إليها على أنها نظام له مكونات ومستويات.

وللإلمام بكل هذه الحقائق، وجب على معلم اللغة مساهمة ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة التي تعدّ الأداة الضرورية لتحديد هدف تعليم اللغة وتوضيحه، لأنها أداة وصفية تحليلية في متناول معلم اللغة تساعد على عملية التعليم، وهي ليست الأداة الوحيدة التي تؤثر في هذه العملية فحسب بل إنها الأداة الأهم في هذا المجال، إذ تقوم بوصف اللغة وتحليلها تحليلًا علميًا، وهي -أي اللسانيات- تُنظرُ معرفتنا بطبيعة اللغة الإنسانية وبعملية استعمال الإنسان لغته في ظروف التعلم المختلفة، وبالعلاقات القائمة بين متكلم اللغة ومجتمعه<sup>(7)</sup>.

وارتكرت جل الاتجاهات الحديثة في تدريس اللغة بخاصة إلى فئة غير الناطقين بها على المعطيات اللسانية الآتية:

1. اكتساب اللغة لم يعد مختصراً على تزويد المتعلم لمجموعة من الحقائق وإنما ينظر إلى هذه العملية نظرة اكتساب العادات والمهارات في الحياة.

2. الاعتناء في عملية تدريس اللغة بالتمهيز بدلا من التحفيظ والتسميع، وهذا ما يستدعى برجة المهارات اللغوية ومراعاة التدرج في اكتسابها وتحقيق التكامل بينها، وعدم النظر إلى كل منها على أنه هدف في حد ذاته، بل وسيلة لصحة التعبير.

3. مراعاة الشق النظامي في اللغة تصميمًا وتخطيطًا وتنفيذًا وتقويما على أن تكون ثمة مرونة في اختيار الطرائق باختلاف الأهداف، وأن تعتمد الأسلوب الانتقائي في التدريس وهذا بحكم طبيعة اللغة.<sup>(8)</sup>

ومن هذا المنطلق تتضح العلاقة بين اللسانيات وبين عملية تعليم اللغة، فهي أداة ضرورية لتحديد هدف تعليم اللغة وتبيان ذلك لأن اللسانيات أداة وصفية وتحليلية تسهل على معلم اللغة عملية التعليم التي هي عملية تطوير إدراك متعمق عند المتعلم لاستعمال اللغة في المجتمع، ومن دون اللجوء إلى النظريات اللسانية لا يتوفر لمعلم اللغة الوصف الدقيق لها ولظروف استعمالها، فهي بتحليلها لصيغة اللغة تقوم بدور أساس في إطار تحليل مسائل التعلم، وذلك لأن الإنسان يكتسب اللغة، كما تقوم أيضا بدور مهم في تحليل مسائل المجتمع، وذلك لأن اللغة عنصر أساس من عناصر المجتمع كما تسهم في تحليل مسائل الفكر الإنساني، لأن اللغة تحمل الأفكار وتصورها وتعبر عنها.<sup>(9)</sup>

والغرض من هذا التحليل التقابلي هو دراسة نقاط الاختلاف بين اللغات للتعرف على ما قد يكون عقبة في طريق الدارس، وهو لا يهتم بالفروق الفردية بل يهتم بالفروق الموضوعية. وعدّ هذا الاتجاه من أهم أدوات البحث في وضع برامج تعليم اللغة وفي اعتمادها من قبل معلم اللغة ... و يُساعد أيضا واضع المنهاج ومدرّس المادة في التعرف على المشاكل الذي سيواجهها دارسو اللغة من غير الناطقين بها في ضوء ما يقدمه لهم من المعلومات الدقيقة عن طبيعة المنظومة اللغوية للغة الهدف من جهة والنظام المميز للغة المكتسبة من جهة أخرى<sup>(10)</sup>.

وزيادة على ما ذكر، فإن الهدف بعيد المدى من تعلّم لغة هو إتقانها الذي يعني التحكم في اللفظ للكلمات والجمل تماما من حيث البنية والتنظيم فضلا عن التحكم التام في المعاني التي تحملها الألفاظ والجمل سواء كانت مفردة أو داخل سياق، وفي هذا الصدد، يقول أحد الباحثين: إن تعليم اللغة يتطلب من المعلم معرفة بالنظام الصوتي للغة التي يقوم بتدريسها، وبالطريقة الصحيحة للنطق بأصواتها والخصائص المادية لهذه الأصوات، كما يتطلب إلماما بالنظام المقابل في

لغة المتعلم، وبوجوده الاتفاق والاختلاف بين النظامين، فكل ذلك يجعل أنماط الأخطاء متوقعة ويهيئ له عمل التدريبات والتمرينات لتوصيل المعلومات إلى المتعلم<sup>(11)</sup>.  
وعليه، ينبغي على معلم اللغة أن يبنى عمله على أساسي:  
. معرفة النظام اللغوي للغة العربية معرفة مفصل  
. الإطلاع الواسع على ما توصل له التنظير اللساني في تدارسه للغة لفهم طبيعتها وخصائصها؛  
وتذليل العقبات التي تعترض دارسها

إحالات البحث:

(1) حيث يقول Denis Girard في كتابه Linguistique appliquée et didactique des langues, Armand Colin Longman, 3ème édition, Paris 1972 « L'enseignement des langues a le droit d'exister indépendamment, non plus seulement comme un art mais comme une science qui n'hésite pas à emprunter à diverses autres sciences humaines ce qu'elles peuvent lui apporter ».

(2) Jean François Halté في كتابه Didactique du Français, Collection "Que sais-je" n: 2656, PUF, Paris 1992.

(3) ينظر تعليمية اللغة العربية، إشراف أنطوان صياح و مجموعة من الأساتذة، منشورات دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الجزء الأول، الطبعة الأولى، سنة 2006، ص 25.

(4) بحوث و دراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، سنة 2007، ص 181.

(5) ينظر المرجع السابق ص 184، 185.

(6) ينظر عمر الصديق عبد الله، تعليم اللغة العربية: الطرق - الأساليب - الوسائل، الدار العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة الطبعة الأولى سنة 2008، ص 24، 25.

(7) ينظر عبد القادر الفاسي الفهري و كنز بنعمر و فاطمة الخلوي، تعليم اللغة العربية والتعليم المتعدد، منشورات معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب بالرباط، سنة 2002، الجزء الثاني 126 و 127.

(8) ينظر المرجع السابق ص 127 و 128

(9) ينظر ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1985، ص 9 و 10.

(10) للاستزادة ينظر محمد عواد، اللسانيات المقارنة و تدرس اللغة العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد الثالث، العدد الثاني سنة 1985، ص 60 و 61.

(11) سعد مصلوح، دراسة السمع والكلام، عالم الكتب، القاهرة، سنة 1980 ص 20 و 21.